مكتبة الغازي خسروبيك

مخطوطة

قاعدة الواسطة

المؤلِّف

عبد العزيز بن عبد السلام بن قاسم بن الحسن

(١)

رسالة : قاعدة الواسطة

لشيخ الاسلام عزالدين بن عبدالسلام

تم تصوير هذه النسخة من مكتبة الغازى خسرو بك بمدينة بوسنا

في جمهورية سراييفو اليوغسلافيا

وذلك في ١٩٩٠/٩/٢٨م

[illegible]

٩ / ٣ /١٤١١ هـ

قال شيخنا الامام العلامة رحمة الله الرحيم الودود

واما الاسماء الدائرة على السنة كيفن من الشمائل والعامة مثل النعوت الذي بكتب والاكاذ
الاربعة والاثنا عشر السبعة والاربعين والبقيا الثلثمائة فجميع الاسماء ليست موجودة
في كتاب الله ولا في احاديث ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل
الالفاظ اما الابدال فقد روي فيهم حديث شاذ منقطع الاسناد عن علي رضي الله عنه مرفوعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان فيهم يعني اهل الشام الابدال الاربعين رجلا كلما مات رجل
ابدل الله بمكانه رجلا ولا توجد هذه الاسماء في كلام السلف على هذا الترتيب ولا على ما ذكر
على هذا الترتيب ولا في المأثور عن المشائخ المتقدمين هذا الذي وقفنا عليه فيما قال انا قد وجدنا على هذه
الصورة عن بعض المتوسطين من المشائخ وقد قالوا انها آثار لها اسم يعني والله اعلم كما ذكر ابو حامد الغزالي
وغيره من علماء الدين فليس عند اكثر المتأخرين حقيقة بل باطل فتصادفه من الحروف والاسماء الغريبة
المتصورة بالحق والتكوين بالباطل وهذا تحقيق ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن تحريف
هذه الامة سنن من قبلها حذو القذة بالقذة ماذا اهل الكتاب ليس الملة بالباطل وهذا واحد
التبديل والتحريف الذي وقع في ديننا تغيير للدين بالتبديل تارة وبالنسخ اخرى وهذا الدين
لا ينسخ ابدا لكن يكون فيه من يدخل من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يلتبس به من
الحق بالباطل والايمان يعم الله فيه من فقهه به لجملة ظاهر الرسل فيتفق عصر تحريف
القايمين من اشكال المبطلين وتأويل الجاهلين فيعود الله الحق ويبطل الباطل وكذلك التكليف
فالكتب النازلة من السماء والآثار من العلم اما انزلة من مشكاة الانبياء يعني الله بها الحق
الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وبذلك يتبين ان هذه الاسماء على هذا العدد
والترتيب والطبقات ليست حقا ولا ثابتا بل يجب القطع بان هذا على هذه الصورة باطل
باطل فان المؤمن يقول به تارة ويكذب به اخرى ويقول فيها لسابقين المقربون تارة كذا وتارة
اخرى ويتخلى عن الامكنة وليس من شرط اولياء الله اتصافهم بالايمان والتقوى ومن يدخل
فيهم من السابقين المقربين لزمهم بمكان واحد في جميع الازمنة وليس من شرط اولياء الله اتصاف اهل
الايمان والتقوى بد فان فيهم من السابقين المقربين من غيب العدد وقد يسمى الله رسوله بالطلقة
وامن معه بكذا نفر فيقال لهم انهم اقل من سبعة ثم اقل من اربعين ثم اقل من ثلثمائة

تعلم

فتعلم انك اذا تأملت فيهم هذه الاعداد ومن المستبعد ان يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هود واصحابه
الى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة
وبها انعقد بيعة الملة الراشدين ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وان كان قد خرج منها
بعد ذلك وجوه فيها ومن المتحققين ان قد كان بمكة في زمنهم من يكون افضل منهم ثم ان الاسلام انتشر
في مشارق الارض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من اولياء الله المتقين بل من
الصديقين السابقين المقربين عدة لا يحصي عددهم الا رب العالمين لا يحصرون بثلثمائة
ولا بثلثة آلاف ولا انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الثلاثة من
اولياء الله المتقين بل من السابقين المقربين من لا يعرف عددهم وليسوا بمحصورين
بعدد ولا محدودين بأمد وكل من جعل لهم عددا محصورا فهو من البطالين عمدا او خطأ
فتسلسل من كان المتقلب والثلثة المباسبعة من بني آدم ونوح وابراهيم وقبل محمد عليهم
الصلوة والسلام في الفترة حين كان عامة الناس كفرة قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة
قانتا لله حنيفا الى كان من معه وحده وكان الناس كلهم اجمعون في جميع اقطار الارض
قال لساره ليس على الارض اليوم مؤمن بي غيري وغيرك وقال كما هو الذي بعث في الامين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين وان نوحا انما كانوا بعد رسولنا عليه الصلوة والسلام نشأ فهذا ان زمان
كانوا من اول هؤلاء وبداية ايته وآية حديث مشهور في الكتب المستة وبداية اجماع
متواتر من القرون الثلثة تنتسب وجود هذه الاعداد حتى نعتقد لان العقائد
لا تثبت الا من هذه الادلة الثلثة من البرهان العقلي قاطعا تواترها كما تعلم
سعادتين فاعلم يا اخي هذه الادلة الاربعة الشرعية فهم كاد تون بل اريب فلا نعتقد
الخاتم فيهم ويلزم منه ان يوزع الله تعالى الكفار ويضرهم على عدوهم بالذات بلا واسطة
ويرزق المؤمنين وينصرهم بواسطة المخلوقات والتعظيم لهم الى واسطة كرزق الله
وفاته الله تدبر ولا تتجاوز واحفظ القاعدة حفظا فانها الفوز والنجاة فلا تتعقد
الا الله فهو غيات المستغيثين لا يجوز للاحد الاستغاثة ببعضهم لا على معنى التوسل
من اهل الارض بدعوات الذين هم احياء يطلبون بها كشف الضر عنهم
ونفوذ الرحمة الى الثلثمائة والثلثة الى السبعين والسبعون الى الاربعين و
الاربعون الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى النوف فهو كما ذكرت ضال
مشرك فقد كان المشركون كما اخبر الله عنهم يعتقد واذا استكم الضر في البحر ضل من تدعون

الا آياه وقال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه تكليف يكون المؤمنون برفعون اليه حاجتهم
بعده بوسائط من الحجاب وهو القائل اذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال ابراهيم عليه السلام واجعل
افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة
فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وقال ابني صلى الله عليه وسلم لاصحابه سلوا تعطوا ثم
بالتكبير ايها الناس ارجعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا
قريبا انه الذي تزعمون اقرب الى احدكم من عنق راحلته وهذا باب واسع وقد علم المسلمون
كلهم انه لم يكن عامة المسلمين ولا اكثرهم المقربون برفعون الى الله حاجاتهم لا ظاهرا ولا باطنا
بهذه الوسائط ولكن اجاب الله تعالى دعاء من تقرب اليه من المخلوقين من الملوك وسائر ما يقول الغالطون
على كبيرا وهذا من جنس دعوى الاضطرار لابد في كل زمان من امام معصوم يكون حجة الله
على المخلوقين لان الايمان الا به مع هذا يقولون انه كان صبيا وذهب الى السرداب بالكرخ من بغداد
واربعين سنة لا يعرف له عين ولا اثر ولا يدري احي هو ام ميت وهؤلاء الذين يدعون
هذه المرتبة بينهم منازعات للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والاعداد يشبه
من بعض الوجوه ترتيب الاساعلية والنصيرية وتخرج في التاسع والثاني والثلاثين
والاساس والحدود يفرد ذلك من الترتيب الذي ما انزل الله به من سلطان وانما الارتفاق
يوجد في كلام المحض اثر يقول فلان من الاوتاد يعني بذلك ان الله تعالى يثبت به الايمان
والدين في قلوبهم من يهديهم الله به كما يثبت الارض بالاوتاد وهذا المعنى ثابت لكل مؤمن
بهذه الصفة من العلماء فكل من حصل له تثبيت العلم والايمان في جمهور الناس كان بمنزلة
الاوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ومن كان دونه كان بحسبه وليس ذلك مخصوصا في اربعة
ولا اثنا عشر ولا اكثر بل جعل هؤلاء اربعة مضاهاة بعدد النقباء في اوتاد الارض واما القطب
فيوجد ايضا من كلامهم فلان من الاقطاب او فلان قطب فكل من دار عليه امر من امور الدين
او الدنيا باطنا او ظاهرا فهو قطب ذلك الامر ومداره سواء كان الدائر عليه امر دار او
دربا او قرية او مدينة امر دينها او دنياها باطنا او ظاهرا او اختصاص لبقعة المكنى
بسبعة ولا اقل ولا اكثر لكن الموضع من ذلك من كان مدارا لصلاح الدنيا والدين وقد
يجزئ صلاح الدنيا فقط وهما القطب في عرفهم فقد يتعدد في بعض الاعصار ان يكون شخص

انفضل

انفضل اهل عصره وقد يتفق في حصر انفراده بكمالات اثنان او ثلاثة مع الفضل حتى استوائه
ولا يجب ان يكون في كل زمان شخص واحد هو افضل الكل عند الله مطلقا وكذلك لفظ
البدل جاء في كلام كثير منهم فانا للحديث المرفوع قالوا شبيه انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه
وسلم فانه الابدال كانوا بالشام وبالجزيرة ويأتي فضل نفوح الشام وكانت الشام والعراق وان كثير
من علمائها في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثم تقاتل فئة
من المسلمين فيقتلهم اولى الطائفتين بالحق فكان علي واصحابه اولى بالحق حتى قاتلهم من
اهل الشام ومعلوم ان الذين كانوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة مثل عمار بن ياسر وسهل بن
حنيف وغيرهما كانوا افضل من الذين كانوا مع معاوية وان كان سعد بن ابي وقاص وغيره
من القاعدين افضل ممن كان معه لكن جهاد مع هذا اتم لان الابدال جميعهم الذين هم افضل اهل
كانوا في اهل الشام هذا باطل قطعا وان كان قد ورد في الشام واصله ضعيف لا معروفة فقد
جعل الله لكل شيء قدرا والحكم يجب ان يكون بالعلم والقسط في كلام في الرد بغير علم دخل في قوله
ولا تقف ما ليس لك به علم فرقة قد كان يقولها على الله ما لا تعلمون وهو من يتكلم بغير علم
خرج من قوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ومن قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
والذين يحاجون باسم البدل فمنهم من ادعى منهم انهم ابدال الانبياء ومنهم من ادعى انهم ابدال الله كما جاء في الحديث ومنهم من ادعى انهم ابدال الكتب المتقدمة
وهذه الصفات كلها لا تختص باربعين ولا باثنا عشر ولا باكثر ولا باهل بقعة من الارض
وبهذا الغرض يظهر للمتفقه في اسم التبع ما في قضاء هذه الاسماء تارة تفسر بما في باطنه
بالكتاب والسنة وباخبار السلف مثل تفسير بعضهم بان الغوث هو الذي يغيث الله به
اهل الارض في زمانه ونحو هذا نظير ما تقدم في الحديث الصحيح في الباب وهو معدود
اليمن والابدال بشبيه بحال المتكلم الذي دخل السرداب من خزانة سر اربعين سنة
وكذلك من ضبط الاربعين الابدال بان الناس انما يضحون ويريقون عنهم فذلك باطل
بل النفوس الزكية يحصل لها بسبب من موكد جهادها المذكور وصلاتها واخلاصها والابتهال
ذلك الا باربعين ولا باخلا ولا باكثر كما جاء في الحديث المرفوع ان سعد بن ابي وقاص قال
يا رسول الله اريد ان يكون حياتي لهم اسهم لم مثل ما يسهم للاضحى فقال يا سعد وهل
تنصرون وترزقون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم وقد يكون الغوث في بعض
اسباب اكثر فان الجهاد والكفاح ايضا يرزقون وينصرون وقد يجب على الارض على الاعيان

وبخيلهم من عدوهم ليتبوأوا البيت ويتقوا بأمن دنيوي فيجعل لهم بيت خزان الذهب فتخرج
الكروب وتقع على الكفار ويرسل السماء عليهم مدرارا ويمدهم باموال وبنين ويسقيهم
من حيث لا يعلمون اما ليدخرهم في الدنيا اخذ خزين مقتدر واما ليضعف عليهم العذاب
في الاخرة فليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة قال الله تعالى انما الانسان اذا ما
ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول
ربي اهانن كلا وليس في اولياء امة المتقين والعباد امة المسلمين ولا الانبياء ولا
المرسلين من كان غايته الجسد وابناء جنسه وابناء الناس بل هذا من جنس قول القائلين
بان عليا في السحاب وان محمد بن الحنفية في جبال رضوى وان محمد بن الحسن يعيش
سبعة ايام الملك بجبل مصر وان الاموال الا وبيعين ورجال الغيب يجيئ الشاة فيأخذ هذا
ونحو من قول اصل الاطلاع اليهقان ثم قد تخرج الماهة في حق الشخص فيغيب تارة
عن ابصار الناس اما لنوع خوف عنه واما لغير ذلك واما ان يكون هكذا طول عمره
فيأتي الناس ثم يكون بعد قتله وهو في غيره من اسرار الله واما ستره وانواره ومعرفته
عنهما من الناس ويكون صلاحه وهو لا يراه جميعا من اكثر الناس فهذا هو الواقع
واصل الغوث بينه وبين اولياء واكثر الناس لا يعلمون وقد بينا بطلان اسم
الغوث مطلقا وانه يوجد في ذلك خوف الحج ومكة والغوث المسايح وكذلك الاقطاب
خاتم الاولياء لفظ باطل لا اصل له وانما ذكر محمد بن علي بن الحكيم الترمذي وقد
انخدع طائفة بكلامهم يعني انه خاتم الاولياء كما ان حمويه وابن عربي وبعض الشيوخ
الضالين بدمشق وغيرها كل منهم يدعي انه افضل من النبي صلى الله عليه وسلم من غير
الرجوع الى غير ذلك من الكفر والبهتان وكل ذلك طمعا في رياسة خاتم الاولياء
لما فاتهم رياسة خاتم الانبياء وغلطوا ان خاتم الانبياء انما كان افضلهم للاهلية الكاملة
على ذلك وليس كذلك الاولياء فان افضل اولياء هذه الامة السابقون الاولون من
المهاجرين والانصار وخير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما وخير
قرونها القرن الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم وخاتم الاولياء في الحقيقة انما يوجد حين يكون في الناس وليس ذلك
هو عيسى الا وليا وهو لا افضلهم بل خيرهم وافضلهم ابو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت
شمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل منهما واما هذه الفلسفة
الملحدة الملاحدة الذين يجعلون خاتم الاولياء هو المسيح الدجال فهذا من اهل الضلال والجهالة

وكثير

لاهل العلم والايمان وصححها لاولي الشهود والعرفان واحيى به من التوحيد ما كان دارسا واضحى
به من الدين ما كان طامسا حتى انفتح من القلوب مقفلها وزاح عن النفوس عللها وظهر
به بشارة رسول رب العالمين بقوله يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف
الغالين وانتحال المبطلين امام العلماء احد ورثة الانبياء الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه
الرحيم العلام قاعدة الواسطة للشيخ الامام مفتي الانام عز الدين ابن عبد السلام رحمه الرحيم العلام

اعلم انه قد اجمع اهل الملل على اثبات الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا
عن الله امره ونهيه قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ومن انكر هذه
الوسائط فهو كافر باجماع اهل الملل والسور التي انزلها الله بمكة مثل الانعام والاعراف
وذوات الر وحم وطسم ونحو ذلك هي متضمنة لاصول الدين كالايمان بالله ورسله واليوم
الاخر وقد قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل وكيف اهلكهم الله ونصر رسله والذين
امنوا قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وقال تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وهذه الوسائط
تطاع وتتبع ويقتدى بها كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى من
يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال فالذين
امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون وقال تعالى لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا وان
اراد احد بالواسطة انه لا بد من واسطة يتخذه العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع
المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون
اليه فيه فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله اولياء
وشفعاء يجتلبون بها المنافع ويدفعون بها المضار لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها قال
تعالى الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقال تعالى وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له وقال الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته

ويخافون

ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طائفة من السلف كان اقوام من الكفار
يدعون المسيح والعزير والملائكة والانبياء فبين الله لهم ان الملائكة والانبياء لا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا وانهم يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه وقال الله تعالى
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون
الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون فبين سبحانه وتعالى ان اتخاذ
الملائكة والنبيين اربابا كفر فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسالهم
جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسالهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكربات
وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين وقد قال تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
وقال الله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه
يوم القيمة فردا وقال الله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون
وقال الله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى
وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال الله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال تعالى قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل
المتوكلون ومثل هذا كثير في القران ومن سوى الانبياء من مشايخ العلم والدين من اثبتهم وسائط
بين الرسول وامته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد اصاب في ذلك وهؤلاء اذا اجمعوا
فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة وان تنازعوا في شيء ردوه الى الله والرسول اذ
الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق بل كل احد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينا

والد ونحوها ما دونها فالعلم في اخف خفة اخف جنط واخر وان اتهم وسايط بين الله وبين خلقه
كما تجب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكون هم يدعوه الى استحلاج خلته وان الله كما
امانهم عباده وبرزقهم ويصبرهم بتوسطهم بعض ان الملوك سيما الى نفوسهم وهم سيما الى ما الله
الى وسايط عند الملوك سيما الملوك الى حوايج الناس لهم منهم والناس سيما الى هم ادنا منهم
بما شرط سؤال الملك او فاقة تظلمهم من الوسايط امنع لهم من ظلمهم من الملك لكنهم امرب للملك
من الطالب فان اتهم وسايط على هذا الوصف كما هم مشرك يجب ان يستاب فان تاب والا
قتل وهذا لله ميتة وحده قد يشبه الغالي بالمخلوق وجعلوا الله انداداً في القرآن مع انه قد يعلم انه
شفيعا لا يشفع غيره اي بعبيد لم شفعه قال الله كما من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكل من اتخذ من دون الله شفيعا فيه فقد شفعه غير الله كما قد
لا يشفعه فيذكر الله كما احد وجه صحيحا الوجه الثالث ان يكون الملك ليس هو بما ينفع وحده
ولا الاحسان اليهم ونحو هم الا بحكم ما يحركه من خارج فانه لجاب الملك من يشفعه ويبغضه له من
يدله على ما يحب ان يكون عليه ويحركه لارادة الملك وحكمته فحصل حوايج الخلق
في ذلك من كلام الناصح الواعظ المشير وامالا يحصل له من الرغبة والرحمة من كلام الدعاء عليه
والله كما هو بكل شيء عليم وهو راحم بعباده من الوالدة بولدها كما الاسباب انما
يكون بمشيئة الله كما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهذا لا يمري نفع الدعاء بعض على بعض فعل
صالحا حسنا لما هذا ايدعو له ويشفع فيه ويحزنه ذلك فهذا الذي خلقه ذلك له ودعا الذي
في قلب هذا المحسن والداعي والشافع لارادة الاحسان والدعاء والشفاعة والله يحب ان
يكون في الوجود من يكره على خلاف مراده ايعمل ما لم يكن يعمله او من يحبه ويرضى قال او
يخاف قال صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت
ولكن ليعزم المسئلة فانه لا مكره له والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه
قال كما ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال او لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وهذا يخالف
الملوك فانه الشافع ينفع قد يكره الملك وقد يكره شفيعا لهم في الملك وقد يكره مخالفهم ليعمل
على مكلم وهذا لا يشفعون عند الملك بغير اذن الملك ويغضبه والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته
اليهم وتارة لخوفه منهم وتارة لجزاء احسانهم اليه وكما قال تعالى ليس عليه حقا انه يقبل
شفاعة ولا دعاء ولا رؤيته لذلك وان تقرب بذلك ويقبل شفاعته لمملوكه فانه لا يمكن ان
يخلف ان لا يطيعه او ان يسيء ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند البعض كلها من هذا الباب
فلا يقبل احد شفاعة احد الا لرغبته او رهبته والله كما لا يرجو احد ولا يخاف احد ولا يحتاج

الى

الى احد بل هو الغني قال الله كما الآن نشد من في السماوات ومن في الارض وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون اي الا قولا قال ابن عباس
سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الارض وقد كما وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون بين ذلك سبحانه وكما ان من اتبع من دون الله
شركاء فليس معه علم ليس معه الا ظن وخرص والظن المقرون بالخرص هنا قد يتعلق بما يتعلق به العلم
لكن قد كان الخرص تقدير معنى الكذب لقوله قتل الخراصون ومن ظن ان ما هنا نافية فقد فسر الآية
بما هو خطأ كما قد بسط من غير هذا الموضع والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعبدونه
من الشفعاء عند المخلوق يتخذ الله كما ويعبدون من دون الله كما لم ينفعهم ولا يضرهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الارض سبحانه وكما ما يشركون
وقال كما عن صاحب يس وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من دونه الهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ان اذا لفي ضلال مبين وقال كما فلا تضربوا
الذين تدعون من دون الله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء
الهة ما وردوها الآية فتبرأ الله كما ممن اتخذ من دونه الله كما والياتهم كما ان تتخذ الملائكة والنبيين ارباباً
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وقال كما قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا الى قوله الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا فاخبر ان ما يعبد من دونه لا يملك كشف
الضر ولا تحويله وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه وبين ان الذي يبتغونه اليه فهو سبحانه قد ينالونها ابتغوه
من توسط الملائكة والانبياء الا الشفاعة باذنه والشفاعة هي دعاء والرب ان دعاء المؤمن
بعضهم لبعض فانه وان قام بهذا الداعي الشافع ليس هو كما يدعو عابد يشفع الا باذن الله
له في ذلك فالله يشفع شفاعة نفى عنها لشفاعة المشركين والدعاء لهم بالمغفرة قال كما ان الذين
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
استغفار ابراهيم لابيه الآية وقد ذكر ان هذا تبرأ حتى تبرأ منه ان ابراهيم
لاواه حليم وقال انك ان تذرهم فانهم عبادك الآية فبين ان لهم ان يستغفر لهم لكن لم يستغفر لهم
وقد ثبت في الصحيحين استغفاره لامه بعد ان نهي عن الاستغفار للمشركين والمانعون يحتجون بان لم يغفر
الله كما فقد ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال لو علمت ان
لهم منهم ما ابوا ان تغفر لهم فانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين وقال ادعوهم
لآبائهم هو اقسط عند الله فبين ان الدعاء لهم مشروع وان كان ذنبهم عظيما وقد ثبت في الصحيح
ان الله كما قال لنبيه انك لن تدع شيئا لله الا صار لك مثله وقال ان الله يغفر الذنوب جميعا
وقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

في الدعاء ان يسأل العبد عالم بكون الرتب ليتصل على ان يسأله منازل الانبياء وليس ضم
او المضرة والمستحيل وكونه ذلك او يسأله ما فيه مشقة شديدة كما عاشة على الكافر والفسوق
والعصيان قال الشيخ الذي اذنت لي في الشفاعة شفاعة من الدعاء الذي ليس فيه عدوان
ولا يسأل احد من الانبياء لا احد منا ولا يصلح لم يقم عليها قائم معصوم وان يقر قائلا على
ذنب ولهذا قال نوح ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال الله يا نوح
انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم الا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وكل
شافع ودعاء اشتمل شفاعته ودعائه الا بمقتضى الله ورضاه ومشيئته
وهذا الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذي خلق السبب والمسبب والدعاء
من جملة الاسباب التي يقدرها سبحانه وتعالى واذا كان كذلك فالالتفات الى الاسباب
شرك في التوحيد ونحو الاسباب ان تكون اسبابا تنقض في العقل والاعراض عن الاسباب
بالكلية قدح في الشرع بل العبد يجب ان يكون بربه عالما وبحكمه وبنعته الذي اقتضاه
وانه يعلم من الاسباب من دعا الملائكة وغيرهم ما يشاء مما شرع ان يدعى
الا على الوجه الذي امر به فان طلب الدعاء من الاحياء الشفاعة من الانبياء كما
المسلمين يستشفعون به النبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء ويطلبون منه الدعاء ولهذا
بعده استسقى عمر بن الخطاب والمسلمون بالعباس عمه والناس يطلبون الشفاعة
يوم القيمة من الانبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم هو سيد الشفعاء وله شفاعات يختص
بعضها وبعضها وان شاركه فيه غيره فله منه ما لا يحصل لغيره ومع هذا فقد ثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا كما يقول ثم صلوا علي
فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة
لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت
عليه شفاعتي يوم القيمة وقد قال عمر بن الخطاب لما اراد ان يستسقي فعله لا تنسانا
يا اني من دعائك فانه نبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من امته ان تدعو له ولكن ليس ذلك
من باب سؤال الميت بل امرهم بذلك كما امرهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها مع انه
صلى الله عليه وسلم قد منع الامر منا اجود هم من كل ما يعلم انه فاته وقد صح عنه انه قال من دعا
الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص ذلك من اجورهم شيئا
ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل اوزار من تبعه لا ينقص ذلك من اوزارهم

شيئا وهو دليل الامة الى كل خير وعلى ظهر مثل اجورهم في كل ما اتبعوه فيه كذلك اذا طلب منه
فانه الله سبحانه يصلي على احدهم عشر اذا طلب منه مثل اجورهم مع ما يستجيبه سبحانه مع علمه
له فذلك الدعاء هي اعظم اسباب امته اجرهم عليه وصار ما حصل لهم من النفع مقتضيا من امته عليه
وقد ثبت عنه في الصحيح انه قال ما من رجل يدعو له اخيه بظهر الغيب بدعوة الا قال
الله له ملك كلما دعى بمثله لا اخيه بدعوة قال الملك المكلف به امين ولك بمثله اخرجه الدعاء
اجابته دعوة تغايب لصاحب قال الدعاء الذي ينتفع به الداعي واما ان كان الداعي دون المدعو له
وينتفع الدعاء الى الداعي والمدعو له فهذا افضل القربة اليه ولو قصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو
ايضا متقاربين على التوحيد والتقوى فهذا يشرع للمسئول والشافع عليه ما ينفعه ما يتزلفه من مباح
يحبه ويرضى وتقوى فيثاب المأمور على فعله والامر يثاب لكونه دعا اليه لا استيجار ومن الاجرة
ما يثيبه الله كما قال لا ناس استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فامره بالاستغفار ثم قال
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم انه ذلك تمام انابتهم الى الله وتوبتهم الى الرسول حيث امره ان
يستغفر للمذنبين والمذنبات ولم يأمر الله محمدا قال يسأل لهم اما امته المخلوق المسئول بسؤالهم
امر امته العبد امر يجاب او استيجاب فعلم هو عبادة محضة وطاعة وقربة الى الله فصلاح
لها علم وحسنة مستحبة فاعل ذلك كان ذلك من اعظم احسانه الى الله واتباعه امر عليه
بل كل من قربه انعم بها على عبده ان هذه الايمان والايمان فهو فعل يتعبد بالطاعة والمسئول
فيها اراده العبد عملا للخير اذا باشرها وهذا معنى الانعام الحقيقي المذكور في قوله صراط الذين
انعمت عليهم وفي قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فهؤلاء هم الذين يطلب منا ان نسأل الله
ان يهدينا صراطهم لان مشيئة الله والمحققون انما تتعين من وجه وان لم تكن معينة
من وجوه واما الانعام بالدين فهو فعل ما امر به من واجب او مستحب فهو الذي
الذي يتفق طلبه بالتفاق المسلمين وهو الذي هو الحقيقة عند اهل السنة اذ عندهم ان الله
هدى الذين اهتدوا بفعل الخير وزيادة عندهم انما انعم به الفرقة الصالحة للتذكير فقط والمقصود
هنا ان الله كما امر بامر مخلوقا ان يسأل المخلوق ما امر الله مصلحة لذلك المخلوق المسئول
اما واجبا واما مستحبا سبحانه لا يطلب من العبد الا ذلك ان يسأل العبد مسئلة
الا عند الضرورة واذا كان عطاء المأمور مستحبا ثم من طلب من غيره اما واجبا واما مستحبا
ان كان قصده مصلحة المأمور او مصلحة هو مصلحة المأمور فهذا مثاب على ذلك

وان كان مقصوده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأموم فهذا من تقصد
اذ ومثل هذا السؤال لا يأثم احد بقطع بل قد ينهى عنه اذ قد يسأل المخلوق للمخلوق من حيث
تقصده لنفسه والمصلحة واحد كما يأثم بها ان يغضبه و يرغب اليه ويأثم بها ان يحسن الى عبده
وهذا اذا لم يقصد لا هذا ولا هذا فلم يقصد الا الله وحده وهذا هو الصلوة والا قصد
الاحسان الى المخلوق الذي هو الزكوة وان كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال لكن فرق بين ما
يقربه العبد وبين ما يبغضه فان الزنا وشرب الخمر لا يستوي وان كان الاستواء جائزا وهذا قد يسقط
الذين يدخلون الجنة بغير حساب انهم لا يسترقون وان كان الاسترقاء جائزا وهذا قد يسقط
في غير هذا الموضع وبينا ان الاصل في سؤال المخلوق ان يكون محرما اما لعدم الحاجة فانه سؤال
للمخلوق فيه ذل للناس وهو ظلم من العبد لنفسه وايذاء للمسؤل وهو جنس ظلم الناس
ويتضح ضعف العبد لغير الله وهو من جنس الشرك ففيه اجناس الظلم الثلاثة الظلم الذي
بحق الله وظلم العباد وظلم العبد نفسه والمقصود هنا ان من ابتغى وسايط بين الله
وبين خلقه كما الوسايط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا من الشرك بين عباد
الوثان كما ذكرناه فان الانبياء والصالحين وانواع وسايط يتقرب بها الى الله كما يرجو
من الشفاعة الذي انكره الله كما قال في النصارى حيث قال اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
والمسيح ابن مريم وقال ما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وقال اذا
سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون
اي فليستجيبوا لما امرتهم به من الاجابة لي بالمسئلة والتضرع
وقال ادعوني اتقبل دعاءكم والامر بالشيء يقتضي انه يحب المأمور به وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يحب المعتدين فنهى عن الاعتداء في الدعاء وفسره برفع الصوت والنداء بالجهر ونهى عن
الافساد في الارض بعد اصلاحها وامر بدعائه خوفا وطمعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين
يسأل عن معرفة السماء والارض كما يعرف هو في نفسه وقد بين انه هذا الذي يحدث كتابه وجميع
موارد الاستشهاد به حق لا يخفى احد بحيث لا يرجو سواه ولا يخاف الا عليه فلهذا لا تجد
انا اوصيناهم في غير موضع بالايات التي فيها نهيهم عن ان يخافوا الا الله كما ذكر الشيطان يخوف اوليائه
فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله وقال الكاملون من يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
ويتقون الله في الظواهر والبواطن وبين ان الطاعة لله ولرسوله واما الخشية و

انتهى

والتقوى لله وحده وقال الله تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا
سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فبين ان الايتاء لله والرسول
كما قال ما افاء الله على رسوله منكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فان الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الذي يبين ما امر به الله ورسوله وما نهاهم عنه وما اباحه لنا واما القسم فهو لله
وحده كما قالوا حسبنا الله ونظائره وقد دعا الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق
هذا التوحيد لامته ويحسم عنهم مواد الشرك اذ هذا تحقيق قولنا لا اله الا الله
فان الاله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والاجلال والاكرام والرجاء
والخوف حتى قال لهم لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم
ما شاء محمد وقال لرجل قال له ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا بل
ما شاء الله وحده وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقال من حلف
بغير الله فقد اشرك وقال لابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت
فاستعن بالله جف القلم بما انت لاقه فلو جهدت الخليقة ان تنفعك بما لم يكتبه
الله لك لم تقدر عليه ولو جهدت ان تضرك بما لم يكتبه الله عليك لم تقدر عليه
وقال ايضا لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد من بعدي وقال لا تتخذوا
قبري عيدا وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقال في مرض موته لعن الله
اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة
ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وهذا
باب واسع ومع علم المؤمن ان الله رب كل شيء ومليكه فانه يتألم مما خلق الله
من الاسباب كما جعل المطر سببا للنبات وقال كما وما انزل الله من السماء
من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وكما جعل الشمس
والقمر سببا لما خلق بهما وكما جعل الشفاعة والدعاء سببا لما يقضيه بذلك
مثل صلوة المسلمين على الجنازة فان ذلك من الاسباب التي يرحم الله الميت
بها ويثيب عليها المصلين عليه لكن ينبغي ان يعرف ان الاسباب ثلثة اصناف
اما السبب المعين لا يستقل بالمطلوب بل لا بد معه من اسباب اخر ومع هذا
فلها موانع فاذا لم يكمل الله الاسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود وهذا

سبحانه ما شاء كان وان لم يشاء الناس لا يكون الا ان يشاء الله الثالث لا يجوز
ان لا يعتقد ان الشيء سبب الا بعلم قد اثبت شيئا سببا بالاعلام وخلاف الشرع
كان ضبطا لاصل ما من يظن ان الشيء سبب في دفع البلاء وحصول المراد وقد ثبت
في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما
يستخرج به من البخيل الثالث ان الاعمال الدينية لا يجوز ان تتخذ سببا الا
ان تكون مشروعة فان العبادات مبناها على التوقيف فلا يجوز للانسان ان
يتقرب بالله بما يحسبه خيرا وان ظن ان ذلك سبب في حصول بعض اغراضه وكذلك
لا يعبد الله بالروح الحاكم بالشريعة وان ظن ذلك فان الشياطين قد تتراءى للانسان
على بعض مقاصده اذا استمر له وقد يحصل بالكلم والعنوة والعصيان بعض
ثم ان الانسان فلا جل ذلك اذا العنوة الحاصلة بسبب راجحة على الصالح
والرسول صلى الله عليه وسلم انما بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتقليل
المفاسد وتعطيلها فاذا امر الله بفضيلة وراجحة ومما نهى عنه ففسدته
راجحة وهذه الجملة لها بسط لا يحتمله هذا الموضع والله
سبحانه اعلم تمت فاتحة الواسطة بحمد الله

ومنه والحمد لله رب العالمين

للشيخ عز الدين بن
عبد السلام

٩